الله فى الفكر الغربى

الله فى الفكر الغربى

من عصر النهضة إلى قرننا العشرين ، فَكَّرَ فى الله – عَزَّ وَجَلَّ – عشراتُ الفلاسفة ، آمن به أكثرهم ، وأصيب البعض – برغم علمهم – بعماء البصيرة فألحدوا .. ونختار هنا – لضيق المساحة – عشرة فلاسفة على حسب الترتيب الزمنى من فرنسا ، وإيطاليا ، وإنجلترا ، وأمريكا ، ممن قدموا بالمنطق الحَدْسى والعقلى والعلمى الدلائل والبراهين على وجود الله ووحدانيته وعظمته سبحانه .

ميشيل دى مونتاني (١٥٣٣ – ١٥٩٢) : مفكر فرنسى عبر بالأدب عن فكرة الشك كطريق إلى اليقين ، وكتب « مقالات » تندد بالنزعة السائدة التى تمجد قدرة العقل على معرفة الوجود ، لأن العقل قوقعة داخل النفس الإنسانية ، ولذلك فإن اليقين هبة من الله .. أما الملاح الإلهية

فإن ما يميزها أو يدركها هو الحَدْس أو الإحساس الإنسانى بعيدًا عن التصور العقلى القاصر فى هذا المجال .. وهكذا يعارض « مونتاني » الأرثوذوكس فى ثقتهم المطلقة بالعقل العارف بالله ، وأتباع « أرسطو » فى ثقتهم المطلقة بالإنكار ..

جيوردانو برونو (١٥٤٨ - ١٦٠٠) : راهب دومينيكى ، ترك الرهبنة وهاجم الكنيسة الكاثوليكية وهجر وطنه إيطاليا ، وعندما عاد اعتقل ثم أعدم حرقاً بتهمة الإلحاد .. ومع هذا كان « برونو » مؤمناً بالله عن طريق العقل والإيمان الطبيعى وليس عن طريق العقيدة والوحى .. فهو يرى أن الله والطبيعة الجوهرية شيء واحد ، وأن الله يتجلى فى الطبيعة ، وهو الواحد الأبدى الذى يخرج منه الوجود اللامتناهى .. على هذا الأساس العقلى عرف « برونو » الله واعترف به دون حاجة إلى الإيمان الذى يفترض عدم قدرة العقل على معرفة الله .

فرنسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦) : مفكر إنجليزى أقام ثنائية بين العلوم الطبيعية والوحى الإلٰهى ، وميز بين كلماته لله (الكتاب المقدس) وأعماله (الطبيعة) وإمكانية التنوير المشترك بينهما بعد أن تعذر إدراك كل منهما بمنطق الآخر ، على عكس اللاهوتيين الذين يقولون باكتشاف حقائق الوجود بالعقل والوحى معاً ، ومنها أن الله خلق الكل

تبعاً لخطة منظمة ، وأنه وجهها جميعاً نحو الكمال وأحاطها بعنايته .

رينيه ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠) : مفكر فرنسى توصل من خلال « تأملاته » فى الكون والإنسان إلى اليقين ، الذى يؤكده علم الطبيعة تأكيدًا مؤداه أن لا وجود من عدم ، ولا موجود إلى عدم ، وبما أن الإنسان موجود لايمكن أن يفنى ولاحتى بفعل الموت ، أما الخالق فهو كائن كامل قادر أزلى لامتناهى ، لأنه أصل الوجود وسببه ، وما الإنسان إلا صورة مصغرة منه ، ومحدودة القدرة بالنسبة له .. ويشرح « ديكارت » بمنهجه الذى يبدأ من الشك لينتهى إلى اليقين حقيقة الوجود ، فيرى أن الله قد خلق العالم خلقاً مستمرًّا ولم يخلقه على مراحل ، وقد خلقه على صورته الأزلية منذ كانت وإلى ما ستكون .

بلاز بسكال (١٦٢٣ - ١٦٦٢) : مفكر فرنسى دافع عن الدين ، ودعا إلى الإيمان فى « خواطره » من منطلق اليقين الرياضى ، مبيناً أن العدالة الإلٰهية يمكن تأكيدها بالاستدلال الرياضى ، وبهذا الاستدلال نفسه يمكن التيقن من أن كل شيء من صنع الله وحده ، وأن الإنسان أثر من آثار الله ودليل على وجوده وإرادته وخلوده .. فإذا كان الإنسان

هو مصدر النزعة إلى السعادة فإن الله هو غايتها ، وإذا كان الإنسان يتطلع إلى الأبدية فإنما يتشبه بالإله الأبدى .

كريستيان فولف (١٦٧٩ - ١٧٥٤) : مفكر ألمانى دعا إلى تزاوج المعارف الثلاث ، التاريخية والفلسفية والرياضية ، لمعرفة الله والوجود والإنسان ، مرورًا بالشك ، وعبورًا إلى التجريب ، واستقرارًا عند العقل . كما وفق فى ثنائيته الجذرية - أو الجوهرية - بين اليقين التجريبى العقلى واليقين الفلسفى الرياضى .. وقد عمل « فولف » على إثبات وجود الله بالفكر المجرد والدليل المادى ، أو بفكرة الكائن الأكمل ، وبدليل أن الله هو سبب الوجود بما فى ذلك ذاته العليا المتعالية .

مارى آروويه فرنسوا فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨) : مفكر فرنسى قاد حملة التسليم الفلسفى بالله ، دعم مذهبه فى الألوهية بالاستناد إلى العلم ، وخاصة نظرية « نيوتن » عن العلة الأولى ، والتى ترى فى نظام الجاذبية والحركة المنتظمة واتجاه الكواكب والنجوم المتجانس دليلاً على وجود إرادة أسْمَى ، وذكاء أعلَى ، خَلَق كل شىء ورتَّبَه فى حرية ، ومع هذا سمح فولتير للعقل بأن يرى الله فى الطبيعة وفى الإنسان ، على العكس من « بسكال » .

إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) : مفكر ألمانى أعلن أنه لايملك دليلاً قاطعاً على وجود الله ، ولكنه اعترف بوجوده ، واعتبره بديهة أخلاقية .. واستبعد قانون أو مبدأ المصادفة فى نشأة الكون ، ذلك أن القوى المادية ذاتها تقوم على علة أولى هى الله ، برغم أن هذه القوى - بل الوجود كله - لايفضى إلى الله ، لأن الله هو الواحد الذى لا يسبقه أحد ، وهو الأزل والأبد .

ج . ف . هيجل (١٧٧٠ - ١٨٣١) : نقل الفلسفة الألمانية من عصر التنوير إلى المثالية التى سادت أوربا وأمريكا .. وعرف هيجل لأول مرة الله فلسفياً ودينياً واجتماعياً من خلال نظريته فى المطلق .. فهو يرفض البرهان على وجود الله إذا كان مصدره الحاجة إلى قوة خارجية ، لأن وجود الله مطلق غير مرهون .

وليم جيمس (١٨٤٠ - ١٩١٠) : مفكر أمريكى درس الطب والفسيولوجيا ، وحاول أن يوفق بين النزعة الذرية والآلية فى عصر التطور الذى نعيشه ، وبين المعتقدات الدينية والأخلاقية التى سبقه إليها أسلافه من الفلاسفة ، فى إطار « البراجماتية » كمذهب نفعى ، لايعارض فى الإيمان بإله مُتَنَاهٍ خَيِّرٍ .. وهو إلهٌ لايحجب الحرية عن مخلوقاته ، وبالذات الإنسان ، صورته المثلى .